غرام الكبار

خليل مطران

شاعر القطرين ..

أم شاعر مي ؟

obeikan.com

obeikan.com

هو .. شاعر رقيق العبارة .. دقيق الإشارة .. أنيق الإثارة .. عذب كالقيثارة ..

إذا قرر التأريخ دراسة عظماء الشعر .. بالقين سيتوقف التأريخ أمامه طويلاً طويلاً ويسجل إسمه بحروف من نور شعره الوضَّاء ومفرداته المتميزة .. فما قصته في صالون الكبار وهل حقاً كان شاهد رؤية وشريك بالنصف في غرام مي زيادة ؟!

فمَنْ هو ؟

هو

خليل مطران .. شاعر القطرين (١ يوليو ١٨٧٢ - ١ يونيو ١٩٤٩) شاعر لبناني مصري شهير. عرف بغوصه في المعاني وجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية كما كان من كبار الكتاب عمل بالتاريخ والترجمة يشبّه بالأخطل بين حافظ وشوقي كما شبهه المنفلوطي بابن الرومي. عرف مطران بغزارة علمه وإلمامه بالأدب الفرنسي والعربي هذا بالإضافة لرقة طبعه ومسالمته وهو الشيء الذي انعكس على أشعاره أُطلق عليه لقب «شاعر القطرين» ويقصد بهما مصر ولبنان وبعد وفاة حافظ وشوقي أطلقوا عليه لقب «شاعر الأقطار العربية».

هو خليل بن عبده بن يوسف مطران ولد في الأول من يوليو عام ١٨٧١م في بعلبك بلبنان وتلقى تعليمه بالمدرسة البطريركية ببيروت. تلقى توجيهاته في البيان العربي على يد أستاذاه الأخوان خليل وإبراهيم اليازجي كما أطلع على أشعار فكتور هوغو وغيره من أدباء ومفكري أوروبا هاجر مطران إلى باريس وهناك انكب على دراسة الأدب الغربي

كان مطران صاحب حس وطني فقد شارك في بعض الحركات الوطنية التي أسهمت في تحرير الوطن العربي ومن باريس انتقل مطران إلى محطة أخرى في حياته فانتقل إلى مصر حيث عمل كمحرر بجريدة الأهرام لعدد من السنوات ثم قام

بإنشاء «المجلة المصرية» ومن بعدها جريدة «الجوانب المصرية» اليومية والتي عمل فيها على مناصرة مصطفى كامل باشا في حركته الوطنية واستمر إصدارها على مدار أربع سنوات وقام بترجمة عدة كتب

وهو شاعر الشعور والخيال وشاعر بعلبك والأهرام ولد سنة ١٨٧١ ببعلبك وتعلم بها قدم مصر سنة ١٨٩٣ م واشتغل بمكاتبة الصحف وانشأ باسمه «المجلة المصرية» سنة ١٨٩٩ م وأنشأ أيضاً (جريدة الجوانب المصرية) وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل).

دعا مطران إلى التجديد في الأدب والشعر العربي فكان أحد الرواد الذين أخرجوا الشعر العربي من أغراضه التقليدية والبدوية إلى أغراض حديثة تتناسب مع العصر مع الحفاظ على أصول اللغة والتعبير كما أدخل الشعر القصصي والتصويري للأدب العربي.

شعره: مجمع الصور وملعب الخيال ونفسه كالصحيفة الحساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم بل وج البحيرة الصافي يحركه كل ريح.

نقل خليل مطران مسرحية عطيل إلى العربية عن اللغة الفرنسية وبعد ذلك ترجمها جبرا إبراهيم جبرا عن اللغة الإنكليزية ويرى جبرا إبراهيم جبرا أنّ اسم عطيل موجود باللغة الإيطالية وتعني الحذر وليس هو تحريفاً لاسم عربي كما ظن خليل مطران. ولكن هل كان عطيل حذراً بالفعل؟ أم وقع في حفرة حفرت له.

(انحدرت أسرة المطران) من أصل غساني من بطن يعرف(بأولاد نسيم) استوطن بعلبك وفي سنة١٦٢٨ سيم على بعلبك مطران من أولاد نسيم اسمه (ابيفانيوس) كان يقضي شؤون الناس في بيته فعرف بيته(ببيت المطران) ولقبت

الأسرة بهذه الكنية. وقد أنجبت أسرة المطران طائفة من أهل العلم والفضل والأدب وقد اعتمد أمراء آل حرفوش وهم حكام بعلبك هذه الأسرة فجعلوا من بعض أفرادها كتبة ومستشارين لهم.

هو شاعر العبقرية المرحوم خليل بن عبده بن يوسف بن إبراهيم بن مخايل مطران وأمه (ملكه الصباغ) ولد في بعلبك لم يكن والده على شيء من الثراء فأراد أن يعوض هذا النقص فأرسل ولده للدراسة في الكلية الشرقية في زحلة فأنهى دراسته الابتدائية. انتقل إلى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت فدرس النحو على الشيخ خليل اليازجي والبيان والأدب على الشيخ إبراهيم اليازجي ودرس اللغة الفرنسية على يد أستاذ في (التورين) وقد وصفه ابن بعلبك الكاتب والصحفي اللبناني قاسم محمد عثمان بكوب بعلبك الشعري.

وبعد خروجه من المدرسة البطريركية بدأ ينظم الشعر ضد سياسة السلطان عبد الحميد.

وفي إحدى ليالي صيف عام ١٨٩٠ عاد الشاعر إلى غرفته في أخريات الليل ورأى سرير نومه مثقوباً برصاص جواسيس السلطان وقد ظنوا انه في فراشه وأنهم قضوا عليه ونجاه الله من الاغتيال وألح عليه أهله بالسفر إلى باريس لأسباب عدة أهمها أن أسرة مطران لا تريد إفساد العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية إكراما لشعر خليل وتعرضه للسلطة الاستبدادية وخوفاً على حياة الشاعر الشاب ودفعه إلى مراقي العلم والمجد.

وفي باريس اتصل بجماعة تركيا الفتاة وهو الحزب الذي كان يعمل ضد طغيان عبد الحميد وضايقه الجواسيس فقرر السفر إلى شيلي في أمريكا الجنوبية وأكب يتعلم اللغة الاسبانية.

وفي سنة١٨٩٢ كان في وادي النيل وتعرف على بشارة تقلا وبدأ يحرر في جريدة الأهرام وخلالها تعرف على أستاذه الشاعر المرحوم نجيب الحداد الذي كان محرراً في جريدة الضياء.

وفي سنة ١٩٠٠ جاء إلى القاهرة وانشأ المجلة المصرية نصف الشهرية ثم أصدر الجوائب اليومية ووجد من الناس مؤازرة وإقبالا عظيمين وفي عام١٩٠٤ ودع الصحافة وتفرغ للأدب ونظم الشعر.

وفي عام١٩١٢ مارس الشؤون المالية وكثرت مضارباته وربح وخسر فأضاع في صفقة واحدة كل ما يملك واستسلم لليأس وفكر في الانتحار ثم طرح هذه الفكرة وهي سلاح ضعيف وقد أنطقه الألم الذي اجتاح قلبه بروائع الأدب فنظم قصيدته باسم الأسد الباكي.

نال من عطف الخديوي عباس الثاني ما خفف عنه ألم النكبة المادية فعينه سكرتيراً مساعداً للجمعية الزراعية الخديوية. وبدأ يتعهد المسرح المصري إذ ترجم عن اللغة الإنكليزية بعض الروايات وقدمها للتمثيل وساعد في الإخراج وكانت له في سبيل المسرح جهود مضنية وفي عام١٩٣٤ أصبح رئيساً للفرقة القومية للتمثيل المسرحي.

وفي عام١٩٢٤ قام بزيارة إلى لبنان وسورية فأقيمت له حفلة تكريم في حلب وأخرى في بعلبك وأنشد ملحمته الخالدة «نيرون» في جامعة بيروت الأميركية وزار بعلبك في عام١٩٢٩ بصحبة صديقه حافظ إبراهيم شاعر النيل فاحتفلت بهما المدينة وكان يؤم ربوع لبنان للاصطياف.

وفي عام١٩٤٧ أنعمت عليه حكومة لبنان بوسام الاستحقاق اللبناني.

وفي٣٠ آذار سنة١٩٤٧ أقيم له مهرجان أدبي في دار الأوبرا الملكية وبدأت

سلسلة مهرجانات في البلاد العربية والاميركية وقد جمعت القصائد والخطب التي ألقيت وطبعت في الكتاب الذهبي الذي نشرته لجنة تكريم شاعر الأقطار العربية.

وبهذه المناسبة نذكر للتاريخ أن الشاعر الخليل هو أول من دعا إلى إقامة حفلة تكريم للإشادة بذكر رجالات مصر المعدودين فقد دعا الشعراء لإلقاء المراثي يوم الأربعين لوفاة محمود سامي باشا البارودي ودعا الكبراء.

أما أولى حفلات التكريم في مصر فقد أقامها تنويهاً بفضل سلامة حجازي فصارت هي الأخرى سنة مرعية وعادة قومية. كان لنفاسة شعره يلقب بشاعر الأقطار العربية وله ديوان واف في أربعة مجلدات هو شاعر الشعور والخيال استفاد من لغة الأجانب دون تقليد ونهج على طريقة قدماء العرب دون تقييد فاحترس بصيغة العرب في التعبير وأدخل الأساليب الغربية في التأليف والتفكير

جاءت وفاة مطران بالقاهرة في الأول من يونيو العام ١٩٤٩م بعد أن اشتد عليه المرض لتشهد مصر وفاته كما شهدت انطلاقته الأدبية .

■ ■ ■